الإتصال بحلقات التطور العلمي العالمي يستلزم إتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية

الدكتور منذر الدقاق

رئيس شعبة الامراض الداخلية فى مستشفى دمشق وعضو المجمع الامريكي لامراض جهاز الهضم

عندما نناقش مبدأ اختيار اللغة المفضلة فى تدريس العلوم فى بلادنا العربية فاننا نرغب ونسعى وراء ادراك كافة اوجه التطور العلمي العديدة التي تعم العالم والتي تعود علينا بالخير والمجد .

وفى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من علاقات البشرية — وقد امتازت بسرعة التبادل العلمي واشتداد الاحتكاك الاجتماعي نتيجة تطور وسائل النقل فى العالم — يجب أن لا نتردد فى الاعتراف بأن لغتنا العربية هي اكثر بطئا من اللغات العلمية العالمية فى نقل اشكال هذا التطور العلمي فى ارجاء المعمور .

فاللغة صلة الوصل فى نشر العلم

وقد تعددت المؤتمرات العلمية فى شتى الاختصاصات فى السنين العشر الاخيرة وكانت اللغة الانكليزية فى جل هذه المؤتمرات هي صلة الوصل الاولى بين مختلف العلماء من مختلف البلدان وتأتي بعدها الافرنسية ثم الاسبانية فالالمانية الخ ..

وتبادل اشكال التطور بين مختلف شعوب الارض يتم بشكل سريع اذا ما جمعت لغة عالمية واحدة وسائل التعبير لدى رجال العلم واللغة العملية التي تسيطر على وسائل التعبير لدى العلماء فى العالم هي الانكليزية فى الوقت الحاضر .

هذا هو واقع اساسي لا يمكن تجاهله او تناسيه فالذي يشترك فى المؤتمرات العلمية العالمية يدرك تماما ان للغة الانكليزية النصيب الاوفر والاول فى المناقشات العلمية كانت اساسية ام فرعية .

واذا ما اردنا دراسة الانتاج العلمي باشكاله فى العالم وجدنا ان جله يظهر بلغة انكليزية فى كثير من البلدان المتعصبة لقوميتها وبلادها كالهند واليابان ، والسبب فى ذلك ان اللغة الانكليزية تسمح فى عصرنا الحاضر بنشر وتعميم التطورات العلمية فى ارجاء المعمور كلها .

ان قوميتنا العربية تقضي بالتطور السريع والتقدم الدائم وليس من واسطة علمية عملية تسمح لنا بتحقيق هذه الامنية فى العصر الحاضر ، اذ انه فضلا عن عدم وجود انتاج علمي اساسي فى العلوم لدى العرب فان علماء العالم قل أن يدركوا التطورات العلمية لبلد ما ان لم يتوفر لهم التعرف اليها بواسطة المجلات العلمية العديدة ..

الكتب العلمية

وفى شتى العلوم ، وخاصة فى الطب ، فان الكتب التي تطبع فى اللغات الاقليمية المحلية قليل وهذا ما يخفف من عدد الطبعات التي تحمل فى تكرارها اشكال التطور والتجدد على مر الزمن ولهذا تتباين الكتب العلمية مع عجلة التطور وتبقى متخلفة عن اللحاق بالركب العالمي .. ومن المنطق أن لا تستطيع هذه الكتب العلمية الصادرة بلغة اقليمية تجديد طبعها فى كل عام لان استهلاكها محدود طالما أن عالمها صغير فضلا عن ان اكثر هذه الكتب العلمية (وعلى الاخص فى بلادنا العربية) مترجمة .. وطالما ان الابداع الشخصي فى الانتاج العلمي محدود ..

الوجه الخاص لعالمنا العلمي ..

واذا احببنا ان نتجرد عن عواطفنا وان نواجه الواقع المؤلم فلابد لنا ان نذكر ان عالمنا العلمي

محدود وان وسائل الابتكار العلمي لا تعرف التشجيع ان وجدت ، لاننا لا نحسن تقديرها اولا ولان خلقنا وخلقنا لم يتعودا بعد على دفع العالم المبدع الى الامام بل ما زلنا نعمل على وضع العثرات كافة فى وجهه تحول دون كل ما يقدم لنا - نسخر منه حين يحترمه العالم ونسعى وراء ابعاده لقتل ابداعه ..

تلك ظاهرة هامة جدا فى حياتنا العلمية يشعر بها العلماء فى بلادنا العربية .. ولهذا وجدنا ان عددا كبيرا منهم قد لجأ الى بلاد اجنبية ليتابع ابحاثه ودراسته بعد ان لقي الترحيب والتكريم وقد نبذه وطنه وحاربه.

ولا ادل على ذلك من أن طبيبا عربيا قد الف كتابا علميا تعرض لكثير من النقد والتقريظ .. وان السلطات العلمية والثقافية فى جل البلاد العربية قد طلبت هذا الكتاب وعممته على مكاتبها باستثناء وطن الكاتب الذي تجاهل الكتاب كل التجاهل رغم تقديمه الكتاب عدة مرات للبحث والدراسة .

اننا فى الوقت الذي نرجو فيه ان تتطور عاداتنا وتسمو اخلاقنا ونبشى لكل نشاط علمي فعال ، لابد ان نتساءل هل من الاجدى ان نقدم انتاجنا العلمي باللغة العربية ام بلغة اجنبية ؟

كيف يتم التعريف بالانتاج العلمي ؟

اظن انه من الضروري ان نعرف العالم بانتاجنا بواسطة اقصر الطرق ، واستعمال اللغة العربية فى هذا الانتاج يؤخر كثيرا فى هذا التعريف وسيبقى العالم بعيدا عن ادراك اي تطور يمكن ان نقدمه فى حقل العلم طالما انه لم يطلع عليه ، ولهذا لابد من اللجوء الى وسيلة تسمح للعالم العلمي ان يقرأ انتاجنا بلغات يستعملها غالبا ، **ولنا فى اليابان البلد الآسيوي الذي تضارع حضارته ومدنيته البلدان الاوروبية كافة خير مثال** ، اذ انه بالاضافة الى استخدامه اللغة اليابانية فى بلاده فى نشر معارفه ومخترعاته وانتاجه العلمي ، نرى انه يسخر اللغة الانكليزية فى كل المجالات لتعريف العالم بتطوره العظيم وقد تم له ذلك بوضوح فى السنين العشر الاخيرة واعتقد انه لو اكتفى باستعمال اللغة اليابانية فى شرح انتاجه وكشوفه لبقي بعيدا جدا عن العالم ولما حظي بهذا الاجلال العظيم الذي يكنه العلماء فى هذا العصر للتقدم الفني الهائل والتطور العلمي العجيب اللذين قدمتهما اليابان الى مدنيتنا الحاضرة ، ويكفي ان تعرف ان نصف **الاجهزة الالكترونية** التي تستعملها الولايات المتحدة الامريكية فى مستشفياتها العلمية هي اجهزة من **صنع ياباني** ، وعلى الرغم من وجود عالم طبي وعلمي قائم بذاته فى بلاد الشمس فان الاطباء والعلماء يستخدمون اللغة الانكليزية فى شرح وتدريس الاشكال العالية من انتاجهم العلمي لانهم يؤمنون بأن هذه اللغة تكفل سرعة الاتصال مع العالم الخارجي وسهولة النشر فى الحلقات العلمية العالمية .

ان القومية السليمة هي التي تقضي بالتطور والوطنية الصحيحة هي التي تساعد على اظهار وتوسيع وتطوير كل انتاج علمي لا خنقه وتقتله لاعتبارات ذاتية زائلة .. وهذا ما يوضح لنا انسجام شعب كالشعب الياباني مع هذا الواقع العلمي متخطيا كثيرا قيود القومية وشروط الوطنية الضيقة ... فاستعمل اللغة اليابانية فى بلده فى حدود لا تؤذي تطوره وابداعه ... ومن الضروري للبلاد العربية ان تعود الى نفس الطريقة فلا تكتفي **باستعمال اللغة العربية فى مجال نشاطاتها العلمية بل تجعل لاحدى اللغات الاجنبية المكان الاول الى جانب اللغة العربية** وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تخفى عن العالم ما نحمله من تطور وابداع فى حقل العلم ، وحتى يستقر لنا عالم علمي لانفسنا لابد لنا ان نرتبط بهذه القيود .

الشكل المفضل لتدريس العلوم

ولسنا ندعو الى تدريس العلوم باللغة الاجنبية الا انه من الضروري على الاقل ان يتم تدريس النصف **تقريبا باللغة الاجنبية** والنصف **الآخر** باللغة العربية وهو ما يسمح للطلاب بعدم الابتعاد عن المجرى العلمي السائر فى العالم طالما ان اللغة العربية لا تحمل اليه تطورات العلم فى كافة اشكالها وفى اوقاتها اللازمة .. اما اللجوء الى الترجمة فهذا حل وسط ضعيف له محذوران : المحذور الاول انه يصعب على التراجمة فى اكثر الاحيان ملاحقة تواتر التطور بشكل متناسب ، والمحذور الثاني ان الترجمة تضعف فى كثير من الاحيان النص الاصلي ان لم تشوهه على نحو ما نرى فى كثير من الكتب العلمية العربية المتداولة ، ولست ارى اهمية لاختيار التعابير الطبية الصحيحة باللغة العربية لانني مقتنع بان هذا ممكن وان هذا لا يحول دون الترجمة وبالتالي دون التدريس باللغة العربية .

دور اللغة فى انتشار المعرفة العلمية

وكأوضح مثال على دور اللغة ونوعية اللغة فى نشر العلم والمعرفة هو ما اكتسبه كاتب هذه الاسطر من خبرة فى الموضوع .. فلقد اعتاد تسجيل ودراسة الحوادث العلمية التي يصادفها فى ممارسة الطب منذ اكثر من عشر سنوات ، وهي صفة ملازمة لكثير من اطباء المستشفيات فى العالم .. وتقدم هذه الدراسات فى مواضيع وابحاث ومحاضرات فى الندوات والمؤتمرات والمجلات الطبية فى الشرق الاوسط واوربا والولايات المتحدة باللغة العربية والافرنسية والانكليزية وتطبع هذه الدراسات وتنشر باحدى هذه اللغات الثلاث ..

ومن تقاليد الاوساط العلمية فى العالم ان تطلب نسخة من الابحاث الطبية المنشورة التي تجد فيها اهمية خاصة .. ولهذا فهو يتعلق دائما بطلبات خاصة من دول عديدة فى العالم تطلب فيها نسخة من البحث المنشور ومن الطريف جدا ان يذكر انه لم يتلق اي طلب لاي بحث تم نشره باللغة العربية وانه تلقى ما لا ينقص عن خمس طلبات لكل بحث نشر باللغة الافرنسية فى حين يتلقى عشرات الطلبات واحيانا المئات منها لكل بحث نشر باللغة الانكليزية وهذه الطلبات تصدر عن بلاد عديدة تقع فى القارات الخمس من استراليا الى اقاصي امريكا الجنوبية مارة بآسيا وافريقيا واوروبا .. ومن بلاد لا تتكلم احيانا الانكليزية وقل أن تستعملها فى حياتها الخاصة .

ان هذا الواقع الذي نعيش فيه والذي نشعر به كل يوم يبرهن تماما على ان استعمال اللغة الانكليزية فى الدراسات العلمية فى وقتنا الحاضر اجدى بكثير من استعمال اية لغة اخرى لانها الواسطة التي تنقل الى العالم بعض النشاط المتواضع فى المجال الطبي العلمي الخاص ببلدنا العربي وهو ما لم يكن متوفرا فى السابق ، ولو اكتفينا باستعمال اللغة العربية فقط فى التدريس ونشر المعرفة العلمية لما تم هذا التعريف بنشاطنا العلمي على صعيد عالمي واسع .

خاتمة ونتيجة

هذا هو الواقع الاجتماعي لمشكلة علمية اساسية تصادفنا طوال مراحل تطورنا ومن الضروري أن نجد لها حلا واضحا يتناسب مع حاجياتنا ويحافظ على قوميتنا..ولسنا ندعو البتة الى طرح اللغة العربية جانبا وتبني لغة اجنبية فى تدريس العلوم فى جامعاتنا ومعاهدنا .. الا اننا ندعو الى الضرورة القصوى لاشراك **لغة اجنبية — ونفضل اللغة الانكليزية فى** الوقت الحاضر — فى تدريس العلوم ، فيعمد الاساتذة الى انتقاء ما لا يقل عن مادتين من اصل البرنامج تتغيران بتغير العام ، تدرسان باللغة الاجنبية ويسأل الطالب عنها فى آخر العام وهو بهذا الاسلوب مضطر الى اتقان **الدراسة باللغة الانكليزية الى جانب متابعته للعلوم فى اللغة العربية** فيكون قد حظي بمعرفتين وهذا اول الطريق للاتصال بحلقات التطور العلمي فى العالم .